مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا

د.عثمان منادي
جامعة سوق اهراس

مقدمة :

عند ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي كانت أكثر مناطق غرب إفريقيا متخلفة، يغلب عليها النظام الوثني ويسودها الاضطراب السياسي ، والاختلال الاجتماعي القائم في ظل حكم مملكة غانة المترامية الأطراف .

وبوصول الإسلام إلى حدود غرب السودان عبر الشمال والشرق ، أوجد حالة من الوعي لتلك الأقاليم وأنتجت حضارة جديدة تشتمل على نهضة علمية اعتمدت على الأصول الإسلامية ونهلت من علوم العرب الذين أوصلوا تلك الحضارة .

وتهيأت الأسباب التي أعطت لهذه النهضة بعدها المكاني وألزماني،فانتشرت في الحواضر المتاخمة للصحراء انطلاقا من أقاليم توات وسلجماسة وولاته نحو الحواضر الجنوبية الغربية بل ساهم هذا الإشعاع الجديد في خلق حواضر جديدة بفضل ازدهار التجارة ،وتوافد عدد كبير من السكان والقبائل بعضهم جاء لغرض نشر الدعوة الإسلامية ،وأخذت تلك الحواضر في السودان الغربي تنمو وتزدهر بالرغم من البطئ في هذه العملية.

ومع بداية القرن الثامن الهجري ،الرابع عشر الميلادي أضحت حواضر غرب إفريقيا نموذجا من الحياة العلمية إلي كانت سائدة في البلاد الإسلامية الأخرى .

فكان لهذه النهضة بعدها الإفريقي المتناغم مع ما جاء به العرب والمسلمون من الشمال الذي أخذ يتفاعل داخل المجتمع الإسلامي السوداني فأنتجت المدارس والكتاتيب والجامعات مثل مسجد سنكري وأضحت تنبكت من حواضر البلاد الإسلامية التي نالت

القدر الكافي من الشهرة في البلاد الإسلامية فنشطت العلوم ،وارتحل الطلبة إلى مدارس فاس وتلمسان والقيروان والقاهرة والحجاز وانتقل الكثير من العلماء من تلك المناطق الإسلامية إلى بلاد السودان الغربي ليؤكدوا إن الإسلام دين العلم والحضارة و أنهم جاؤوا لنشر هذه الرسالة فأخرجوا الإفريقي من إطار العصبية والقبلية الضيقة ،والعادات والتقاليد القديمة إلى حياة جديدة أساسها العلم ،فظهر سلوك جديد للناس وتوجه نحو الحياة العلمية التي كان أهم مظاهرها انتشار اللغة العربية والمذاهب الإسلامية وتنوع مناهج ومواد التدريس وهو ما سأتناوله في هذا البحث .

إن الدراسة التاريخية للحياة العلمية ليست نظما سياسية, أو اسر حاكمة تظهر وتختفي وإنما هي عملية تربوية تعليمية فكرية ترتبط بحياة العلماء و المفكرين الذين يقضون حياتهم في محراب الفكر إلى آن تنموا الحضارة وتنعكس على سائر الحياة بالتقدم والازدهار.

وفي هذا البحث سأتناول مظاهر الحياة العلمية موضحا:

- مؤسسات التعليم ووسائله من مساجد ومكتبات، وكيف كانت الرحلة في طلب في طلب العلم ، وماهي الأجازات العلمية الممنوحة للطلبة ؟
- كيف انتشرت اللغة العربية كلغة علم ؟
- وهل كان لانتشار المذاهب الإسلامية دور في ترسيخها ؟
- وما هي مراحل التعليم ،وطرق التدريس ومواده ؟
- وأخيرا ما هو مستوى التعليم في تلك الحواضر مقارنة بما هو سائد في سائر الأقطار الإسلامية وعموم غرب إفريقيا ؟

المبحث الأول: مؤسسات التعليم ووسائله:

1-المساجد:

من المعلوم ان المسلمين في كل زمان ومكان كانوا يتخذون من المساجد والأماكن الملاصقة له مراكز لتعليم صبيانهم ، القراءة والكتابة ولم تكن البلاد السودانية استثناء عن ذلك .

وقد لاحظ الرحالة هذا ومنهم حسن الوزان وأكدوا أن مسلمي السودان استخدموا المساجد أماكن للتعليم [1].

لعب المسجد دورا هاما في حياة المسلمين عامة والتعليم خاصة ، فقد كان المسجد عبر قرون مدرسة وبيت الجماعة ودار الضيافة [2].

اهتم التجار والدعاة والأمراء في حواضر غرب افريقيا لأمر بناء المساجد كوسيلة لتوطيد الاسلام في الاقاليم الجديدة ، ونجد الكثير من الرحالة والمؤرخين الذين ناولوا ،بناءه ورواده وأهميته ودوره .

بدأ أهل السودان الغربي يهتمون بالتعليم منذ ان اخذ الاسلام يشق طريقه إليهم وازداد مع هذا الانتشار والتوسع بناء المساجد في الحواضر الاسلامية ن حتى أضحى المسجد جزء من الظاهرة العمرانية للحواضر الافريقية .

كان لكل حاضرة مسجدها الكبير الذي يجمع فيه السكان وقد نظمت المدن الاسلامية من حيث تخطيطها لتلاؤم حياة الطوائف الاجتماعية ، وفقا للأغراض الاقتصادية ،من ذلك بناء الحوانيت التي تبيع الكتب والعطور ، ثم تستدير الأبنية الأخرى حول المسجد لقوم فيها أعمال التجارة والصناعة [3]، وتكون القبائل المهاجرة الى حواضر الغرب الاسلامية من العرب والبربر[4]، قد ساهموا بالقسط الوافر في إدخال صورة جديدة للمساجد في سرعة انجازها وإعطائها الصورة المفضلة لها .

إن تقدم الاسلام في الفترة مابين القرن 14 والقرن 16 قد دعا السلاطين الى بناء عدد كبير من المساجد لإستعاب العدد الهائل من المصلين والمتعلمين وتنافس التجار والحكام

---

[1].عزالدين عمر موسى:دراسات اسلامية غرب إفريقية ،ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان،2003، ص119.

[2]. الخطيب البغدادي: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم ، تلخيص وترتيب سامي الصقار ، ط1،دار المريخ ،الرياض 1401-1981ص 69 .

[3]. نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1974، ص 145.

[4]. عبد الرحمان السعدي : تاريخ السودان –وقف على طبع هوداس-مكتبة أمريكا والمشرق –باريس ، ص 21.

والخيرين على بناءها وكان هؤلاء يتباهون بالإنفاق ، على صيانتها وترميمها وهاهو القاضي العقاب بن محمود بن عمر أقيت انفق في ترميم المساجد الثلاث (المسجد الكبير ، مسجد سنكرى ن مسجد سيدي يحيى لا يعرف نهايته الا الله تعالى، كان ينفق يوما سبعا وستين (67)مثقالا الا ثلثا ، وقد نافسه في الإنفاق الحاج الأمين [1].

يعتبر بناء المساجد عمل جماعي يساهم فيه كل سكان المدينة ، حيث يختار الأعيان والعلماء موقع بناء المسجد ن ويشترك الشباب في العمل بنقل مواد البناء ، والنساء يحملن الماء ، ويحضر بعضهم الملاط ويعد هذا عملا خيرا لا يتقاضى عليه العمال أجرا وعادة ما يتبرع الأغنياء والتجار بالمال او المواشي لإعداد الطعام اللازم للعمال ، وأحيانا يصاحبه الاحتفال على الطريقة الافريقية .

عند البناء يراعى ارتفاع المسجد الذي يتراوح بين 3.5الى 5متروطوله الذي يصل الى عشرات الأمتار وذلك حسب عدد السكان ، وعدد الأبواب ودرجة الإنفاق عليه [2].

إن مساحة المسجد ومئذنته والمساحات المحيطة به تختلف من حضارة الى اخرى ، فغالبا ما يكون في كل حضارة مسجد جامع يتمتع بمساحة كبيرة ومئذنة يتراوح علوها بين المتر الى الثلاثة أمتار وفناء واسع به أشجار [3].

أما في القرى ، فتنتشر المصليات ذات الأشكال المختلفة مربعة أو مخروطية الشكل الخارجي مسقوفة بالأغصان ن والقش أمامها مساحة كبيرة للصلات في الهواء الطلق .

أما أهم مساجد حواضر غرب إفريقيا فان المصادر التاريخية تشير الى عدة مساجد أهمها في تنبكت ن مثل الجامع الكبير الذي بناه منسى موسى عند عودته من الحج عام 1327 [4].

أعيد ترميمه في عهد أسكيا داوود ووسعه [5] وقد وصف هذا المسجد الرحالة هنري بارث عندما زاره في القرن 19 م ، ووصف طوله وعرضه ومساحته [1].

---

[1]. عبد الرحمن السعدي : المصدر السابق، ص122.

[2]. نعيم قداح : المرجع السابق ،ص 148.

[3]. نفس المرجع، ص150.

[4] . Barth H : voyage et decouverte dans l'afrique septentrional et central pendants les années 1845-1855-Edition 1863-Paris، p151.

[5].عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص 65

ويعد مسجد سنكري الذي يقال ان امرأة غنية بنته ثاني اكبر المساجد في حواضر غرب إفريقيا ن ويجهل متى بني ، وأعيد بناؤه عام 989م/1581م، من طرف الحاج العقاب بن القاضي محمود ، اخذ مقاسه وطوله وعرضه من الكعبة الشريفة خلال حجه الى مكة [2].

ولق كانت المساجد تضيق بالمصلين منذ أيام ابن بطوطة الذي زار المدينة في منتصف القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، اذ يقول ان يوم الجمعة إذا لم يبكر الناس الى المسجد لا يجد المتأخرون أين يصلون [3].

وكانت المساجد الكبرى بمثابة جامعات [6] معاهد تعليمية كبرى ، ومراكز ثقافية وتربوية حققت الأهداف المنوطة بها ، فتتلمذ فيها القضاة والأئمة والفقهاء والعلماء ، ولم تكن أوضاع المساجد والتعليم هذه لتختلف عن سائر مدن بلاد السودان الغربي ، عن حال تنبكت آن ذاك ، فكل حاضرة لها دورها الثقافي والعلمي الذي ساهم في تنشيط الحياة العلمية .

كان للمسجد حرمة لدى السكان، بلغت درجة الاحترام والتقديس حيث كان من كان يستجير بالمسجد أو دار الخطيب لا يناله شر ولو كان من السلطان [7].كما كانت القبور تبنى بجوار المساجد وحوله، وتلك عادة اهل المغرب فالمغاربة لا يدفنون أمواتهم إلا في رحاب مساجدهم وجوامعهم [8].

ويبدوا أن اغلب هذه المساجد بغاو وجني وغيرها لم تبقى آثارها قائمة الى اليوم ، وذلك راجع الى عامل البيئة والمواد التي تشيد بها المساجد فهي مبنية بالطين المجفف والأخشاب والقش ، وهي مواد لها مدة حياة لاتكون في الغالب طويلة على عكس المساجد المبنية في الأقطار الاسلامية الأخرى ، والتي تعد الصخور المعدلة أهم ركائزها .

---

[1] . Barth .(4) .op .cit .pp.323-325.

[2].محمود كعت : المصدر السابق ، ص 121

[3].عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ،ص 120.

[5] . Yattara El mouloud : L'islam et les voies de sa diffusion au Mali du VIIIème au XVIème siècle. P02.www. histoire-afrique.org

[6]. عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص07.

[7] .عبد الحميد جنيدي : مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10ه/16م ، مذكرة ماجستير،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،2010.ص81.

2- الكتب والمكتبات:

من المعروف ان المكتبات من أهم وسائل التعلم فهي مصدر من مصادر المعرفة تحفظ فيها العلوم و الثمار خبرات السابقين فتجعل حياة من يعتمد عليها امتداد لحياة السابقين ، وبقدر ما يعتمد على ذلك تتفاضل الامم ويقاس تقدمها من هنا كان اهتمام المسلمين بالمكتبات ودور العلم كي تسهم في تطور الحركة العلمية[1] .

إن الباحث في مجال الحياة العلمية في عصر من العصور يجد المؤشر على تطويرها يربط بكتب وتراث العلماء ومدى شيوع ثقافة الكتاب والمكتبات ولذلك كان إقبال السكان حواضر الغرب الإفريقي على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات من المؤسسات الفاعلة في دفع ازدهار هذه الممالك ، وبناء حضارة خاصة بها وقد تبين ان الدعاة والفقهاء والتجار كانوا يحملون معهم الكتب ولعل اقلهم حظا ذلك الذي يحمل معه مصحف القرآن الكريم ولذلك لا عجب ان نجد المكتبات من المؤسسات الفاعلة في دفع ازدهار هذه الممالك ، وبناء حضارة خاصة بها وقد تبين ان الدعاة والفقهاء والتجار كانوا يحملون معهم الكب ولعل اقلهم حظا ذلك الذي يحمل معه مصحف القرآن الكريم ولذلك لا عجب ان نجد ان المكتبات الضخمة الخاصة والعامة توجد في المساجد والقصور وبيوت الأعيان والعلماء ، فكان التأثر واضحا من قبل القبائل العربية والبربرية التي استقرت في تلك البلاد.

لقد انتشرت المكتبات التي اقتناها العلماء والأثرياء وكانت تصرفات طلبة العلم كوجه من أوجه عمل الخير، والبعض عدها صدقة جارية.

واشتهر على العلماء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم عن الراغبين في الاستعارة منها وكانت تدور حركة نسخ نشطة ليحصل عن طريقها بعض الناس على نسخ من الكتب التي يريدونها [2] .

فقد دخلت حواضر الممالك الاسلامية ، كتبا في مخلف العلوم الخاصة بالثقافة العربية الاسلامية ففي عهد مملكة مالي كان السلاطين يتسابقون لاقتناء الكتب الدينية منهم منسى موسى ن فبعد عودة هذا الأخير من رحلته الى الحج الشهيرة وأثناء مروره

[1]. حسن أحمد محمود: الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001 ،ص 289.
[2]. أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص235.

بالقاهرة اشترى عددا من الكتب الدينية للمذهب المالكي ونقلها معه الى بلاده من اجل تعزيز الحياة الثقافية بها[1]

ومما ساعد على كثرة الكتب رغم عدم ابتكار المطابع ما كان يتسم به المرابطون على الثغور من نسخ للكب بالمجان مما أدى إلى وجود المخطوطات وسهل على المتعلمين وجود الكتب [2]، بالإضافة إلى تعلم أهل المنطقة فنون الخط وصناعة الورق وان كان على الطريقة التقليدية وكانت المخطوطات والكتب تباع بأسعار أعلى من أسعار السلع التجارية الأخرى [3].

وفي عهد مملكة سنغاي ازداد الاهتمام اكثر بالكتب والمكتبات وهذا راجع الى رسوخ الاسلام اكثر خاصة لدى الطبقة الحاكمة ، وأعطى سلاطين المملكة أهمية كبيرة للكتب ، فكان من مواطنيهم ناسخ لنقل المخطوطات وشراء الكتب بأغلى الأثمان ، فقد بلغ حب الملك غاو للكتب ان اشترى قاموسا بمبلغ ثمانين مثقالا [4].وجاء في الفتاش أن الاسكيا داوود اشترى نسخة من القاموس بثمانون مثقالا [5] .

إن هذه المعلومات التاريخية لتدل على مدى ازدهار الحياة العلمية ، وإقبال الناس على شراء الكتب ونسخها وهو ما أدى إلى ثراء المكتبات الخاصة بأمهات الكتاب حتى تكونت الأسر والعائلات الك

بيرة[6]، التي ارتبط اسمها بالمكتبات العامرة الموجودة بمساكنهم الخاصة ، حتى أصبح هذا التقليد شائعا وازداد تجذرا مع ظهور الزوايا والطرق الصوفية حيث مثل شيوخها وزعمائها مصدر الفتوى وخزانة العلم والكتب .

إن تجارة الكتب كانت اكبر تجارة في إمبراطورية مالي ، ثم سنغاي وقد ازدهرت الثقافة الاسلامية وكانت جامعة سنكري تخرج علماء في آداب اللغة العربية والعلوم ، وتشير الروايات التاريخية الى ان الكتب التي كانت مصدر رزق وسلعة تجني منها

---

[1]. تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريـزي : 845هـ/1441م ـالسلوك لمعرفة دول الملوك-ج2 تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ /1997م،ص 11.

[2]..محمد محمد زينون : القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية ط 1،دار المنار بالقاهرة 1408-1988، ص121.

[3].جوز يفين كام : المستكشفون في افريقيا ، ت السيد يوسف نصر ،ط1، دار المعارف ، القاهرة ،1983،ص ....

[4]. نعيم قداح: المرجع السابق، ص 163.

[5]. محمود كعت : المصدر السابق، ص 108-109 .

[6]. احمد طاهر ، فصول من الماضي والحاضر ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة 1975،ص74.

الأرباح إذ يقول حسن الوزان "ويباع هنا (أي تنبكت) الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتي من بلاد البربر ويجني من هذا البيع ربح يفوق كل بقية السلع [1] .

إن هذه الروايات تدل على كثرة العلماء والمتثقفين وعادة ما يرتبط هذا بتوفر الكتب والمكتبات تشير المصادر التاريخية انه بعد الغزو المغربي لمملكة سنغاي كان احمد بابا التنبكتي صاحب كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج مكتبة ضخمة تضم مخلف التأليف [2]، و بها ذخائر عديدة من الكتب ، نهبت معها ستة عشر مائة كتاب ، ولا ندري هل هذا العدد الهائل صحيح أم مبالغ فيه ، ومهما يكن فان العدد قد ينقص أو يزيد لكنه يجعلنا ندرك ان الكتب متوفرة والمكتبات عامرة خاصة لدى العلماء قدوة الأمة ، فكانت عملية التبادل والإعارة سائدة ومشهورة في حواضر الغرب الإفريقي إذ يروي السعدي ان الطالب يقصد العالم يطلب كتبا فيعطيها له من غير معرفة [3]، وهذا ما يؤكد تشجيع العلماء لطلبة العلم أو ربما العرف السائد آنذاك الذي يذم البخيل في تقديم المساعدة لطالب العلم احتوت المكتبات على المخطوطات كما أشار الى ذلك حسن الوزان [4]، فكان فكان سكان الحواضر ينسخون الكتب الأصلية التي لا يملكونها وبأعداد كبيرة إذ تعذر شراؤها[5] ، وها هو احمد بابا التنبكتي الذي كان من أعظم مؤرخي السودان الذي وضع في ما قيل (70) كتابا في مختلف العلوم والفنون وكان يملك مكتبة تحتوي على ألف وست مائة (1600) عنوانا[6] .

أما عن محتويات الكتب فهي إسلامية في عمومها تتناول السيرة النبوية والأحاديث مثل صحيح البخاري ومسلم وكتب السيوطي وكتب الفقه على المذهب المالكي خاصة ، مثل رسالة ابن أبي زياد القيرواني بالإضافة إلى كتب الأدب والشعر والكتب الجغرافية والتاريخية والكتب العلمية البحث في الفلك والطب[7] .

---

[1]. عبد الرحمان السعدي :المصدر السابق ، ص 28 .
[2]. حسن الوزان: المصدر السابق ،ج2، ص 54.
[3]. عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ،ص 51.
. حسن الوزان : نفس المصدر، ص 541. [4]
[5]. فليكس ديبوا : تنبكت العجيبة –ترجمة عبد الله عبد الرزاق إبراهيم-مراجعة شوقي عطا الله الجمل-المجلس الأعلى للثقافة –القاهرة-2003.،ص 230.
[6]. إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها ، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983.، ص 313.
[7].فليكس ديبوا : المرجع السابق،ص230.

وقد ذكر بول مارتي المتخصص في دراسة الاسلام في افريقيا الغربية سلسلة من الكتب العربية التي وجدها في مطلع القرن العشرين في المكتبات الاسلامية نذكر منها على سبيل المثال كتاب الجواهر الحسان لأحمد بابا التنبكتي ، وشجرة اليقين للشيخ أبي الحسن الأشعري وشرح بانت سعاد لكعب بن زهير ، وكتب العالم السيوطي وكتب مولد النبي لسعيد بن جبير وكتاب مقامات الحريري وكتاب المصباح المنير ومقصورة ابن دريد وألفية ابن مالك وقطر الندى ، وإحياء علوم الدين للغزالي وموطئ مالك[1]

ان الباحث في تاريخ الكتب والمكتبات يجد السبب في اهتمام سكان الغرب الإفريقي بها ، وهو حث الاسلام على طلب العلم ، الذي اكتسب قداسة وارتبط بحسن إسلام المرء ولذلك لا عجب في ان نجد هذه المكتبات موصولة بالمساجد والزوايا والقصور.

3- الارتحال لطلب العلم :

تعتبر الرحلة من مميزات جهود المسلمين في طلب العلم ن وكان العلماء يحثون الطلبة عليها فكان الطالب يترك بلدته بعد ان يحصل على ما لدى علمائها ن فيتوجه الى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي ،ويكابد مشاق السفر وأخطاره ، ولكن هذه المشاق وتلك المخاطر لم تقف حائلا دون تلك الرحلات التي ملأت بطون الكتب ، وكم من عالم ارتحل ، وربما قطع آلاف الأميال ، وكان البعض منهم ينتهز موسم الحج فيسير معهم ، او يعرج على العلماء للتزود منهم وقد بدأ الكثير منهم تلك الرحلات ولم يبلغوا العشرين [2] .

اتسع نطاق انتشار الاسلام في حواضر السودان الغربي وهم يحملون ما تعلموه ، وانتشر العلماء والفقهاء والدعاة في تلك الحواضر من مدارس القيروان وفاس وتلمسان وغيرها ، فكان هذا مما دفع طلبة العلم وعلماء السودان الغربي للحصول على العلوم من مواطنها وكان طلبة العلم أنشط الناس للرحيل وأصبرهم على العناء ، فكان الحرص على لقاء الشيوخ والعلماء والأساتذة المشهورين والغرض الأول من الرحلة فلم يكن طالب العلم يكتفي بقراءة مصنفات الاساتذة وحدهم وانما كان لابد ان يقرأها عليه

---

[1].نعيم قداح : المرجع السابق ، ص165.

[2]. الخطيب البغدادي: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم.تلخيص وترتيب سامي الصقار . ط1. دارا لمريخ .الرياض 1401 – 1981 ، ص 65 .

ويسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته وحجة في علمه ، وبذلك كانت الرحلة ضربا من ضروب التحقيق العلمي [1] .

كان بعض الطلاب والعلماء من اهل السودان يقومون برحلات الى المراكز العلمية في البلدان الإسلامية مثل فاس والقيروان والقاهرة كما اشرنا الى ذلك سابقا ومن العلماء الذين ذهبوا الى فاس للتزود بالعلم كاتب السلطان منسى موسى ، وكذلك عبد الرحمان التميمي الذي ذهب الى فاس للتمكن من العلم ثم رجع الى تنبكت[2] ، وكذلك كان الحال في ارتحال طلبة العلم الى القاهرة حيث خصصت لهم أماكن لاستقبالهم ، فكان في الأزهر تسعة عشر رواقا منها رواق يخص الأفارقة [3]، ومنهم من يسميه رواق التكرارة نسبة الى بلاد التكرور ومن العلماء من اشتهروا بارتحالهم طلبا للمزيد من العلم مثل عبد العزيز التكروري [4]، والعاقب بن عبد الله الانصمي[5] ، والعاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت [6] .

وكانت رحلات الحجيج لأهالي حواضر غرب افريقيا فرصة طلبة العلم والعلماء لزيادة التحصيل ويذكر احمد بابا في نيل الابتهاج عدد من العلماء الذين ادوا فريضة الحج والتقوا العلماء هناك منهم السيوطي وغيرهم [7]وهكذا نجد ان الارتحال لطلب العلم كان سمة بارزة في الحياة العلمية في حواضر غرب افريقيا ، فكان طالب العلم والعالم لا يثنيه طول المسافة ، ولا مشقة السفر فالرحلة مدرسة قائمة بذاتها ، تعلم الطالب صفات الصبر ، وفن التعامل مع الآخرين ، والقدرة على مواجهة المصائب وحلها ن وكسب العلم كانت الغاية الكبرى.

وبفضل هذه الرحلات استمرت الوحدة الثقافية والتواصل العلمي والحضاري بين غرب افريقيا وباقي الأقطار الإسلامية ، وبفضلها أيضا كان استمرار تبادل الأفكار بين سكان الحواضر نفسها ، فقد كانت المسافات بينهما بعيدة .

---

[1] . حسن جبر : المرجع السابق ، ص288

[2] . عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق ص 51-62.

[3] . مجاهد توفيق الجندي : أروقة الأزهر ،ص04 ،*www.drmarzouk.com* ، ص 04.

[4] . عبد الرحمان السعدي: نفس المصدر، ص182.

[5] . أحمد بابا التنبكتي:المصدر السابق، ص 399 ،أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع،ج2 ،ط1،وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية،المملكة المغربية،1421هـ/2000م.ص294.

[6] . عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص 37.

[7] . أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج ،ج 2، ص 399 ، كفاية المحتاج ،ج 2 ،ص 295 .

والرحلة من الناحية العلمية ساهمت في تمكين الدين الاسلامي ، والاستخدام الواسع للغة العربية ، ولقد كان الطلبة يتلقون العلم وهم سائرون في ركاب الرحلة مع الشيوخ كما ان هؤلاء الشيوخ ، من كانوا يعقدون مجالس الدرس للطلبة من اهل الحواضر التي يمرون بها وما الأذكار التي كانت تردد خلال الرحلة الا بيانا على ذلك حقا ان الارتحال يمثل مصدر إعجاب للباحث خاصة إذا درسها بالنسبة للعالم الاسلامي عامة ، مثل رواة الحديث الذين كانوا يقطعون الأميال للتأكد من صحة حديث واحد ، لذلك ندرك ان العلم مسافة طويلة كلما ازداد الباحث المسير كلما ازداد علما وشغفا في نفس الوقت .

4- الإجازات العلمية:

يقصد بالإجازة العلمية إقرار الأساتذة بأهلية الطالب بعد إتمام فترة زمنية يتعلم فيها فنا من الفنون او علما من العلوم ويقع النطق بذلك ، أو يحرر على ورق تدفع للطالب المتخرج ، فيمنح إجازة او صريحا برواية كتب ، لا تسمى تفصيلا كان يقول له : (إنني أجيز لك ..)[1]

وكانت هناك شهادات خاصة بحفظ القرآن وأخرى بالحديث ،وهناك شهادات عامة تشمل عدة مواد أو فنون أو مهارات الى جانب العلوم الدينية .

وكان نظام الشهادات معروفا في حواضر غرب افريقيا خاصة في عهد مملكة سنغاي ، إذ كان الأستاذ كلما لمس احد طلبته مكنا كافيا في مادة من المواد التي درسها عنده ، أعطاه إجازة بخط يده [2] .

وهناك شهادات تعطى فردية ، بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ ، في المواد التي يتقنها الأستاذ ،ويتعاطى تدريسها ، ولكنه يبقى طالبا في مواد أخرى ، وبناء على هذا فإن الشهادات كانت على شكل انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة او أكثر ، وهنا يراعي الأستاذ مدى الكفاءة التي يكون الطالب

---

[1] . فؤاد سيزكين: محاضرات في تاريخ العلوم ،ط1، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 1989/1399، ص 14.

[2].عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الاسيقين 1493-1591 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر - 1971 .، ص147.

قد حصل عليها [1]، وفي يوم التخرج ، يمنح الطلاب العمائم ،والعمامة ترمز إلى النور الإلهي والحكمة والمعرفة والسلوك الأخلاق العالية .وهي تمثل الخط الفاصل بين المعرفة والجهل، مما يعني أن الطالب ملزم بتبادل المعارف والخبرات مع إخوانه [2].

وكان العلماء المغاربة في السودان الغربي يلزمون الطلبة بالحصول على الشهادة ، بحيث يتأجل تخرج الطالب إذا لم يتحقق له النجاح ويعود من جديد للتعلم [3]، والطالب الناجح هو ذلك المواظب على واجباته الدينية واوقات الدراسة ، والمجتهد في حفظ ما طلب منه وعادة ما يكلف الأستاذ طلبته المتفوقين بالإنابة عليه، أو إلقاء الدروس ثم يصدر شهادته عليه[4] وكان تلك الشهادات تعطى عادة في حفل ، يقيمه اهل الطالب الناجح ، وهذه الشهادة العلمية التي تحصل عليها الطالب تؤهله لان يعمل بإلقاء الخطب ، أو الإمامة ، أو بأن يعمل المتخرج كمساعد للقاضي ،أو نائبا له أو كاتبا في مصلحة حكومية ، أو نسخ الكتب ،أو تعليم القراءة ،وقد تنتهي بالعمل في القضاء وتولي مهامه [5].

المبحث الثاني:مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا:

1-انتشار اللغة العربية:

[1] . عبد الحميد جنيدي : مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10ه/16م ، مذكرة ماجستير،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،2010. ، ص 84 .

[2] .Jackson, Mississippi. Sankore University: Rediscover the Glory، ***www.muslimmuseum.org/SankoreUniversity.***

[3].عبلة محمد سلطان: العناصر المغاربية في السودان الغربي-دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاة دولة سنغاي-رسالة دكتوراه-مركز البحوث والدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة -1999.، ص 175.

[4] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق،ص 46.

[5] . عبد الحميد جنيدي : المرجع ص 84.

من المعروف آن انتشار اللغة العربية في مناطق العالم الإسلامي ومنها غرب إفريقيا ، كان مرتبطا بدخول الإسلام إليها وانتشاره فيها ،وفي نفس الوقت أشارت الدراسات أنه منذ إدخال الحروف العربية بدأت عملية أسلمة إفريقيا[1].

و إذا كان الإسلام قد وصل إلى جزء من منطقة إفريقيا جنوب الصحراء في وقت مبكر،منذ عهد مملكة غانا الإسلامية، فإنها ازدادت انتشارا في الفترة بين القرنين (8-10ه/14-16م) و يرجع ذلك إلى تجدر الإسلام لدى الحكام و المحكومين وكذلك إلى بلوغ العرب مراكز القرار في تلك الدول ،كتابا ووزراء،ومستشارين وأضحت لغة المراسلات ،كما ذكر العمري انه ورد كتاب إلى سلطان مصر بالخط المغربي في ورق عريض السطر إلى السطر [2]، وقد لعب التجار والدعاة واستقرار الجاليات العربية البربرية دورا حاسما في انتشار الفقه العربية والبربرية دورا حاسما في انتشارا اللغة العربية وازداد عدد المسلمين الأفارقة ،واكتسبت اللغة العربية مسحة من التقديس عندهم [3] وقد ساعد على إقبال سكان حواضر غرب إفريقيا على اللغة العربية أنها لغة الدين الذي آمنوا به والقرآن الذي يرددون بعض آياته في عبادتهم، ثم الجد والنشاط الذي أبداه العرب في تعليم اللغة العربية للأفارقة وفتح الكتاتيب.

فإذا ما أضفنا إلى ذلك المساواة التي بسطها الإسلام على من اعتنقه من السودانيين بحيث يكون الجميع متساوي في الحقوق والواجبات ،والأخلاق الفاضلة التي جاء بها العرب أدركنا بالفعل أن اللغة العربية بلغت مكانة مهمة وكان لها الفضل الكبير في انتشار الإسلام والتعليم وكل العلوم المتصلة بهما من نحو وصرف وتفسير القرآن وفقه وأدب وتاريخ وغيرها[1] ، فسار القانون الإسلامي أو الشريعة والمعتقدات والممارسات ، جنبا إلى جنب مع اللغة العربية لمحو الأمية [2].

---

[1] . **Constant Hamès:** « Les manuscrits arabo-africains : des particularités ? », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, p99-100 | novembre 2002, URL : http://remmm.revues.org/index1182.html .31 mai 2010.

[2] . ابن فضل الله العمري :مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ط1 مركز زايد للتراث والتاريخ 2001، ص74.

[3] . أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث-دار المريخ ، الرياض ، 1970م.،ص153 .

[1]. ابن خلدون: المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان ، 1413هـ/1992م،ص 462 .

[2] . *Lisa Lindsay: The Influence of Islam on West Africa. www.spice.stanford.edu.com.* 22/10/2010

وكانت فكرة التمييز بين الحروف العربية عن طريق النقط التي ابتكرت في القرن الهجري الأول كد اكسب الحرف العربي مرونة جعلته قادرا عن التعبير عن أصوات الكثير من اللغات غير العربية[3] .

ساعد وجود العرب والبربر في أغلبية مدن وقرى بلاد السودان على انتشار اللغة العربية نتيجة الزواج والمصاهرة [4]، فكان من عاداتهم أن يقوم رجال من العلماء في تلك المناطق بتعليم الناس القرآن العظيم وتفقيههم في الدين .

وعلى يد هؤلاء المعلمين الأوائل انتشرت علوم الدين ،وتقرب الناس إليهم للاستفادة منهم والأخذ عنهم ،سواء رغبة في فهم الدين ليؤهلوا للاندماج في هذا المجتمع الجديد أو طمعا في مكانة دنيوية ،وبهذا وجدت عوامل مشجعة لتعلم اللغة العربية [5] وغدت اللغة العربية مع توسع الإسلام في كثير من مناطق غرب إفريقيا وحواضرها بالخصوص لغة التجار والعلم والثقافة والإدارة ولغة التخاطب بين القبائل المختلفة الألسن واللهجات وأصبح الحرف العربي يستعمل في كتابة اللغات المحلية ،وتأثرت بنحو اللغة العربية وصرفها وأوزان شعرها [6] .

واقترضت اللغات السودانية الكتابة بالعربية وأخذت الكلمات والأسلوب والنموذج و ساهم العلماء في انتشار العربية التي أصبحت لغة الأفكار لدى السود ،ويعود سبب الاندماج في أن أصل بعض الكلمات السودانية سامية تعود إلى تأثير العهد الفينيقي والقرطاجي منذ أن كان البحث عن العبيد والتبر و ريش النعام [1].

وهكذا يتضح لنا أن انتشار اللغة العربية كان واسعا ،فالمعارف تدرس وتستوعب بالغة العربية وكذلك الكتابات الرسمية والثقافة ،رغم أن دروس المساجد تقدم باللهجات المحلية العامة، لكن طلاب العلم يدرسون بالعربية ، وهذا ما يفسر وجود ألاف الكلمات العربية المستخدمة في بلاد سنغاي في شتى مظاهر الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية

---

[3]. يوسف الخليفة أبو بكر: الحرف العربي و اللغات الإفريقية ، مجلة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس 1985. ص 171.

[4] ،ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (المعروف بـ: تحفة النظار في غرائب الأمطار) دار بيروت للطباعة والنشر –بيروت -1400هـ/1980م ، ص 681 .

[5] . عبد السلام عبد العزيز فهمي : نصاب الصبيان ومسيرة ستة قرون في تعليم اللغة العربية للمسلمين غير الناطقين بها ط1 جامعة ام القرى ،المملكة العربية السعودية 1405

[6] jon.hunwik.the influence of arabic in west africa .ahistoricol survez. Trans tion. of the historical.society of chan .v.v//.p 24-41.www. *books.google.com/books.*

[1] . Maurice DELAFOSSE: LES NOIRS DE L'AFRIQUE .op.cit.p27.

والاجتماعية [2] وما كان للعربية أن تبلغ هذه الدرجة لولا الإسلام الذي كان واسع الانتشار من قرون طويلة وهذا يقودنا إلى القول أن الإسلام كان ذا دور حاسم في تعريب المنطقة لسانا [3].

لقد شارك الإفريقيون في الدراسات العربية ذاتها وازدهرت مواطن كثيرة لها في بلادهم ونبغ منهم الكثير في الفقه والأدب والتاريخ ومختلف العلوم الإسلامية ،وكان لهم فضل المشاركة في بناء صرح الثقافة العربية والإسلامية ،وقد تكون هذه المساهمة أقل من إضافات غيرهم من الأمم في الكم والنوع ،ولكن هذا القصور يرجع إلى أن الثقافة العربية قد وصلتهم متأخرة [4] .

ولو القينا نظرة على ما تزخر به المكتبات الخاصة والعامة في إفريقيا من كتب التراث الإسلامي ،لأخذتنا الدهشة من كثرة ما عرفته هذه المنطقة من أسماء العلماء والأدباء والشعراء والمؤرخين والكتاب الذين لم يعرفوا لغة للثقافة والعلم سوى العربية .

وأمامنا من المصادر الإفريقية المشهورة مثل السعدي ،وتاريخ الفتاش لمحمود كعت ،وتذكرة النسيان ،وإنفاق الميسور لبلو ،ونيل الابتهاج التنبكتي ،وفتح الشكور في علماء التكرور للبرتلي والجواهر الحسان في أخبار السودان ،وغيرها من المؤلفات ،لم تطبع ولم تنشر ،ما يقدم الدليل الذي لا يقبل الجدال أن اللغة العربية قد عرفت ازدهارا في غرب إفريقيا ما لا ينكره أي احد ، إذ لا تزال مخطوطات كثيرة لم تحقق لكنها مكتوبة بالعربية [1].

ففي هذه المصادر التي ذكرتها والتي لم اذكرها نجد لوائح طويلة من أسماء العلماء والشعراء والكتاب الذين لا يقل نبوغهم عن نظائرهم في أقطار العالم الإسلامي [2] .

وبالرغم من تأثر العربية باللهجات المحلية من خلال دخول عدة مصطلحات ،وكذلك من خلال تغيير بعض الحروف ومخارجها ومدلول بعض الكلمات [3]، فقد

---

[2] . محمد فاضل علي باري سعيد ابراهيم كردية : المسلمون في غرب افريقيا تاريخ حضارة ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 2007.ص 125 .

[3] . عز الدين عمر موسى : المرجع السابق،ص 111.

[4] . جمال زكريا قاسم : العلاقات العربية الإفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية ، للاستعمار ، مجلة الدراسات الإفريقية ،القاهرة ، العدد 547 ، 1977 ،06.

[1] . حسن عيسى عبد الطاهر : الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني. ط1، القاهرة 1991.، ص 25

[2] . عبد العلي الود غيري : اللغة العربية : الماضي والحاضر والمستقبل ، www.biblioislam.net.12.11.2010

استمرت اللغة العربية إلى جانب اللهجات المحلية كلغة للتعامل والثقافة قبل أن يعمل الاستعمار الأوروبي على فرض ثقافته [4] وعمد الاستعمار الأوروبي إلى إعادة تدوين اللغات المحلية بالأبجدية اللاتينية وحذف الألفاظ العربية في كثير من الأحيان ، بعد أن كانت المؤلفات الإفريقية تدون باللغة العربية ،التي كتبت بأحرف عربية على أسلوب الخط المغربي في محاولة متعددة للقضاء على مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية [5] .

2- انتشار المذاهب الإسلامية:

أ-المذهب المالكي:

قبل قيام الحركة المرابطية لم يكن المذهب المالكي سائدا في المغرب ، لكنه لم يكن غائبا ،فكان حضوره مزاحما بقوة المذاهب الأخرى مثل المذهب الشيعي والخارجي الإباضي .

الإمام مالك (97ه – 715 م / 179 ه – 795 م) ولد في الحجاز واعتمد في استخراج الأحكام على ظاهر النص ، فسمى أنباءه بالظاهرية .لأنهم جعلوا أحكامهم منحصرة في النصوص بالإجماع وهو ما عرف أيضا بالمصالح المرسلة ، أي كل مصلحة ضرورية للمجتمع يحصل بها نفع أو تدرأ ضررا ، ولا تعارض النص ، ولمالك كتاب في الفقه اسمه الموطأ ، وهو أقدم ما ألفه في الفقه سمي هكذا لأنه صنفه بناءا على أمر الخليفة العباس المنصور، ووطأه للناس أي انه أوضح الشرع لهم ، أو لان فقهاء المدينة واطئوه عليه ، أي وافقوه ، وهذا المذهب المالكي تلاءم مع عقلية أهل الحجاز والمغرب والأندلس ، وسكان المناطق التي لم تكن أهل جدل ونظر ، ومن الكتب التي تناولت مذهب مالك بالشرح ، المدونة الكبرى لسحنون بن سعيد240ه – 854م ، كما ظهرت للمذهب ملخصات مثل المختصر في الفقه على مذهب الإمام مالك ، لخليل بن اسحق 7ه / 14 م(د .عبد المنعم ماجد ،تاريخ الحضارة الإسلامية ص 175 - 176) [1]

---

[3] . حسن احمد منصور : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ط1،دار الفكر العربي ،القاهرة ، 2001 ، ص 45 .

[4] . جمال زكريا قاسم : المرجع السابق، ص 07 .

[5] . نفسه ، ص 46 .

[1] . زينب احمد هاشم : زينب احمد هاشم : علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية القاهرة ، 1982، ص .144

وحينما انتصب المذهب المالكي بصفة نهائية في الشمال الإفريقي انتقلت سيادته لإفريقيا الغربية منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وذلك بحكم مالكية التجار والدعاة والفقهاء الذين دخلوا بلاد السودان واستقروا وعملوا على نشر الإسلام فيها [2].

ومنذ دخول المرابطين إلى مملكة غانة بعد سيطرة أبو بكر بن عمر على عاصمتها سنة 469ه /1070م واعتناق سكانها الإسلام ، عم المذهب المالكي السودان الغربي ، وأصبح هو المذهب السائد ببلاده، فدولة المرابطين قامت على أساس نشر الإسلام على المذهب المالكي، فعبد الله بن ياسين مؤسس الدعوة المرابطية من تلاميذ اكبر علماء القيروان مركز المذهب المالكي في تلك الفترة ، وبفضل المرابطين دخل الإسلام غانة ودخلة معهم مؤلفات وكتب المالكية حيث أصبحت هي الكتب المتداولة في بلاد السودان مثل كتب القاضي عياض منها كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام من في مالك ، وموطأ الإمام مالك ، والمدونة الكبرى للفقيه والقاضي سحنون، ورسالة لأبن أبي زيد القيرواني ودرست هذه الكتب في جني تنبكت [3] .

وفي عهد مملكة مالي كان المذهب المالكي هو السائد وأشار الملك منسى موسى وهو في مصر انه مالكي المذهب ، واشترى من هناك بعض الكتب في الفقه المالكي [4] .
وقد قامت مالي على أساس تجانس عنصري وروحي ، فأغلب قاطنيها من قبائل متعايشة على المذهب المالكي والقوة الرئيسية فيها هي رجال الدين [1]

وتوافد على المملكة عدد كبير من علماء المالكية بعد عودة الملك منسى موسى من حجته سنة 724ه / 1324م جلبهم معه من الحجاز ومصر [2] ، كما استقر بمالي عدد من علماء المالكية منهم الفقيه أبو عبد الله الكومي الموحدي والشاعر والمهندس أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجين وغيرهم ن ويذكر العمري في هذا الصدد :"وجلب

---

[2] . الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغاي ،رسالة ماجستير ، ط1 ، دار المجمع العلمي ، جدة ، 1979 ،ص 43-44 .
[3] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص 93
[4] . نفسه، ص 29- 33 .
[1] . محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي-معهد البحوث والدراسات الإفريقية،القاهرة، ص 47.
[2] . زينب احمد هاشم : المرجع السابق ، ص 145 .

إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، ولقي بها المسلمين ، وتفقه في الدين " [3] .

وفي عهد مملكة سنغاي كانت المالكية أكثر تداولا خاصة بين العلماء والفقهاء منهم : محمود بن عمر أقيت ، (ولد سنة 868ه/1463م) كان قاضيا بتنبكت وكان يقوم بتدريس مدونة الامام سحنون ورسالة ابن أبي زيد القيرواني [4] .

ومخلوف البلبالي (ت 940ه /1533م) الذي اطلع على رسالة ابي زيد في الفقه ومحمد بن محمود ابي بكر الوتكري التنبكتي (ت 1002ه/1593م)

احمد بابا : " لازمته أكثر من عشر سنين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل و ابن الحاجب قراءة بحث وتحقق وتحرير ختمتها عليه وختمت عليه الموطأ قراءة تعتم ، وحضرته كثيرا في المنتقى والمدونة شرح المحلي ثلاث مرات [5] ، والفقيه عبد الله بن محمود أقيت (ت 1006ه/1598م) الذي عاصر الغزو السعدي لسنغاي وتوفي بمراكش ودفن بها سنة 1006 وهو متخصص في الفقه واهتم بدراسة خليل والرسالة [6]

ب-المذهب الإباضي :

رغم انتشار وسيادة المذهب المالكي في السودان الأوسط والغربي بعد القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، كان المذهب الإباضي موجود في بعض المناطق التي يكثر فيها العرب و البربر ، وقد لاحظ ابن بطوطة أثناء رحلته في مملكة مالي ومروره بقرية تسمى زاغري ، تقيم فيها فئة من الخوارج الإباضية يطلقون عليهم "صغنغو" وكان اهل السودان يطلقون على المالكية من البيض اسم " توري " [1] ودخل المذهب الإباضي الى المنطقة مع الطلائع الأولى للمسلمين من التجار والدعاة ، وكان حكرا على جماعات الخوارج انطلاقا من دولهم في تيهرت وسجلماسة ، بالإضافة

[3] . عبد الرحمان ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 – ص 238 ، العمري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 59.
[4] . احمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج2 ، ص 343 -344.
[5] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص 39
[6] . علماء الحواضر وانجازاتهم العلمية .
[1] . ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص 680.

إلى سيطرة تلك الجماعات الخارجية على المداخل الصحراوية على بلاد السودان ، يقول اليعقوبي : " أن أهل زويلة إباضية " [2]

يذكر الإدريسي أن تجار ورجلان يتجولون في السودان إلى غانة وونقارة وهم وهيبة إباضية [3].

وباختصار أن المذهب الإباضي دخل إلى السودان الغربي في وقت مبكر ومع طلائع المسلمين الأوائل ، وانتشر بعد ذلك ، وبعد سقوط الدولة الرستمية بدأ نفوذهم يتقلص ،وخلال القرن الخامس الهجري عم المذهب المالكي بلاد المغرب خاصة بعد انفصال بن زيري على الدولة الفاطمية بالقاهرة ، ثم قيام الدعوة المرابطية وتوسع المرابطين في غانة عم المذهب المالكي بالمغرب وأصبح تواجد الإباضية في مناطق محدودة جدا .

3-انتشار التعليم:

لا تتم دراسة الحياة العلمية في عصر من العصور للأمة الإسلامية إلا بدراسة المؤسسات العلمية ، من كتاتيب ومكتبات ومدارس كمراكز للإشعاع الحضاري ثم تتبع التعليم ومراحله ومناهجه ثم الحكم على مستواه ،حسب الفترة المحددة بالدراسة.

والحقيقة التاريخية الشائعة أن العلم سنة واضحة لازمت المجتمع الإسلامي ،حيث بذل المسلمون جهدا كبيرا للتفقه في الدين وهو مكان شائعا في كافة الأقاليم والحواضر الإسلامية . ولم تكن غرب إفريقيا لتشذ عن هذا الإطار.

فقد حث القرآن على القراءة وطلب العلم ،ونوه في مواطن كثيرة بمنزلة العلماء الرفيعة وأهمية العلم وطلبه فيقول الله تعالى :((قل هل يستوي اللذين يعلمون واللذين لا يعلمون)) وقال تعالى ((يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) ومن أحاديث النبي((ص)) ((يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء)) .

---

[2] . عز الدين عمر موسى : المرجع السابق، ص 60.

[3] . الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر -1983، ص 296 .

كما أن الإسلام في حرصه علي التعليم لم يفرق بين البنين والبنات ، وروي أن الرسول (ص) كان يطلق الأسير المتعلم من الكفار إذا علم عشرة من المسلمين الأميين القراءة و الكتابة .

وبانتشار الدعوة الإسلامية بدأت تباشير نهضة تعليمية دعامتها في بداية الأمر العلوم الدينية مثل القرآن و التفسير و رواية الحديث ثم استنباط الأحكام الفكرية و الفتاوى الشرعية [1]

لقد حظي التعليم في .حواضر غرب إفريقيا برعاية كبيرة من الحكام والأهالي نظرا لما كان يتمتع به العالم من تقدير و احترام بين الحكام [2] و كان النظام التعليمي السائد في السودان الغربي لا يختلف عن سائره في المغرب والمشرق إذ علمنا أن المذهب الغالب هو المذهب المالكي وبالتالي العامل الجغرافي بين الإقليمين كان الأكثر تقاربا .

ومما يدل على اهتمام ملوك السودان الغربي بالتعليم ،.أن اغلب هؤلاء كانوا يرسلون طلاب العلم إلى بلاد المغرب للتزود بالعلم ،فقد أرسل سلطان مالي منسى موسى بعثات ثقافية إلى مدن المغرب الإسلامي وخصوصا مدينة فاس لمتابعة الدراسة والتحصيل العلمي ،واشتهر في زمنه فقيه هو ((كاتب منسى موسى)) الذي أرسله هذا السلطان ليتابع حلقات العلم المقدمة في فاس ، ثم رجع إلى بلاده وقد تمكن من مادته العلمية وبدا يدرس في المدارس السودانية [3] .

كما اهتم ملوك .سنغاي اهتماما كبيرا بالإسلام ونشره ، واللغة العربية وتعليمها ، وأسسوا مراكز للعلم في كل أرجاء الإمبراطورية ، وعلى رأسها مدينة تنبكت حاضرة العلم والعلماء في غرب إفريقيا لعدة قرون ، في عهد مملكة مالي و سنغاي معا ،فكان بها اكبر نسبة من العلماء و القضاة ولهم رواتب منتظمة من الدولة ،وفيها مكتبات كبيرة

[1] . سعيد مرسي احمد سعيد إسماعيل علي : تاريخ التربية والتعليم ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 ص 167
[2] . ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 680.
[3] .عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص 219 .

وحلقات العلم في المساجد وكانت بذالك تنبكت اقرب إلى الجامعة في العصور الحديثة [1] وقد ساهم توفر المدرسين و العلماء و مؤسسات التعليم في ازدهار الحركة العلمية في غرب إفريقيا ،كما ساهمت الكتب في ترسيخ .تقاليد فضلها ،فقد قدر أحمد بابا التنبكتي مكتبته بألف كتاب وستمائة مجلد [2] وهذا الكم يعطينا انطباع بالمكانة التي حظي بها التعليم في .حواضر غرب إفريقيا ،وقد لا تكون هناك مبالغة في العدد الهائل من التلاميذ وحفظة القرآن في تنبكت وغيرها من المدن ذات الدور السياسي و الاقتصادي في القرن العاشر ه /السادس عشر م [3].

3-أ- مراحل التعليم :

كان نظام التعليم عند المسلمين من مرحلتين أولي وتعليم عالي ،وقد استمر هذا النوع من التعليم إلى قرون في مختلف أقطار العالم الإسلامي [4] ويبدوا أن المدارس من النوع الأول كانت معروفة وسائدة في حواضر غرب إفريقيا ، وتشابهت معها المناهج والمقررات وأوقات الدراسة .

1- مرحلة التعليم الأولى (الإعدادي – المتوسط):

-التعليم الإعدادي :

يبدأ الأطفال دراستهم في الكتاب - جمع كتاتيب- وقد اختلفت تسميتها في حواضر غرب إفريقيا باختلاف قبائلها، فقبائل الولوف يطلقون عليها اسم دارا،وقبائل موريتانيا يعرفونها بمحضرة الماندينغو يسمونها كارا ،وقبائل التكرور يسمونها ديا لجنتي ،وهناك من يطلق على معلم الكتاتيب معالام وهو تحريف لكلمة معلم [5] .

أما بالنسبة لسن دخول التلاميذ إلى الكتاب فيبدأ منذ السن السابعة ،دراسة مبادئ القراءة والكتابة العربية ،وحفظ قصار الصور وفي هذه المرحلة كان الآباء هم الذين

---

[1] . علي يعقوب : اللغة العربية وآدابها في دولة سنغاي الإسلامية مجلة علوم إنسانية ، السنة السابقة ، العدد 45 2010’ www.ulum.nl.ص11.

[2] . احمد بابا : نيل الابتهاج ، ص 341 .

[3] . عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ، ص .119

[4] . منير الدين احمد : تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم ترجمة وتلخيص وتعليق ، سامي الصقار ، ط1 ، دار المريخ ، الرياض المملكة العربية السعودية 1981م-1401هـ ،

[5] . عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ص 62 ، 63 .

يحرصون على أبنائهم ،فيعودونهم على الحفظ ،ويجبرونهم على الدوام ،كما يراقبون مدى استيعابهم [1].

وكان الأطفال يدرسون بالقرآن ،وهو بمثابة أصل التعليم ،الذي يبنى عليه ما يحصل من بعض الملكات ويقوم التدريس على الحفظ والتقليد مع مراعاة ظروف كل طفل ومقدرته ،فمنهم من كان يسمع ويحفظ ومنهم من كان يكتب في اللوح [2] .

وبعد أن يتعلم الطفل مبادئ القراءة والكتابة أولا، يقوم المعلم بتكرار الدرس المقرر على تلاميذه إلى أن يتأكد من إتقانهم له أو حفظه ، أو يكتب التلميذ القدر المقرر على اللوح من القرآن نقلا من المصحف ثم يعرضه على الشيخ ويقراه له ويقوم التلميذ بتكراره حتى يتقنه أو يحفظه ، ثم يرجع إلى المعلم ويقرا عليه الدرس حفظا او نظرا ، فإن أتقنه يأذن له المعلم بمحو الدرس في مكان خاص ،وتتكرر العملية حيث يكتب الصبي الآيات وعندما يحفظها يمحوها هكذا [3] .

وتجدر الإشارة إلى أن التلاميذ مهما كانت كثرتهم فإن كل واحد منهم يدرس عند المعلم على حدة إلا في بعض الأحيان ،فيستعين بكبار تلاميذه لتعليم المبتدئين وهو الذي يعرف باسم (سنتارو) ويكلف بالإشراف عليهم والكتابة للصغار منهم [4] وبعد أن يتم الطفل تعليمه الابتدائي الذي يتوج بحفظ القرآن كاملا ،تقيم له أسرته حفلة عظيمة يشارك فيها المعلم ويهنئه أصحابه وأسرته [5] .

وهناك إشارات عدة إلى كثرة الكتاتيب والتلاميذ على السواء ،وحسب ما أورده كعت كانت مدارس الصبيان مابين مائة وخمسين ومائة وثمانين مكتبا ،وأشهر الكتاتيب

---

[1] . - عبد القادر زبادية : ملامح الحركة التعليمية في تنبكت، خلال القرن السادس عشر ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 7- 8 ، 1977 .ص32.

[2] . سعيد مرسي احمد سعيد إسماعيل علي : المرجع السابق ، ص 227.

[3] . حسن الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 153 .
، Monteil Vincent: l’islam noire-Paris 1912 ‘p116 .

[4] . علي يعقوب : المناهج والمقررات التعليمية في الجمهورية النيجيرية ، مجلة علوم إنسانية ، السنة السابعة ، العدد 45 ، 2010 WWW.ULUM.N .org

[5] . فرج محمود فرج :إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 ، ص 98 .

بمدينة تنبكت بلغ عدد تلاميذه أكثر من مائة وثلاثة وعشرون تلميذا [1] وكذلك الحال بمكتب الفقيه ابن القاسم التواتي قبالة المسجد الجامع في تنبكت [2]

وقد لا تكون هناك مبالغة في مثل عدد التلاميذ الهائل في مرحلة القراءة والكتابة وحفظ القرآن في تنبكت في القرن العاشر ه/السادس عشر م ، خاصة إذا اصطحب الباحث طبيعة الكثافة السكانية في المدن السودانية ذات الدور السياسي والفعالية الاقتصادية [3] .

أما أوقات الدراسة فإنها تختلف من حاضرة إلى أخرى ومن معلم إلى آخر ،وتختلف حسب مستوى التلاميذ وسنهم ،ولاشك أن المعلمين كانوا يتقاضون أجورا على تعليمهم للاطفال وبدوره يختلف من حاضرة إلى أخرى حسب الظروف الاقتصادية السائدة وقد تحول التعليم إلى حرفة يرتزق منها المعلمون ،بل أصبح صناعة لاستفاء الرزق اختصت بها فئة من الناس والظاهر انه كانت هناك مستويات من المعلمين المعلم المؤدب والشيخ والإمام [4] .

- مرحلة التعليم المتوسط :

وهي مرحلة تعليمية أرقى من سابقتها ،وتتم في الزاوية أو المسجد ،ولم تكن محددة بسن معين ، فهي متاحة لجميع من استكمل دراسته في المرحلة الأولى بنجاح ،ويتولى التعليم فيها مدرسين و علماء أكفاء في مختلف المواد الدراسية [5].

يتلقي الطلبة كافة العلوم عل يد المدرس أو الفقيه ،ويجلسون حوله على شكل حلقة (دائرة) ومع كل واحد منهم لوحه و كتبه ،وتستمر الحلقة غالبا من صبح كل يوم حتى منتصف النهار ، بعدها ينصرف الطلبة لتناول الغداء ، و تبدأ الفترة اليومية الثانية بعد صلاة العصر وتستمر غالبا حتى وقت صلاة المغرب ،وهكذا باقي الأيام ما عدا الجمعة و الأعياد ، ويبدوا أن المناخ كان له دور في تحديد هذه الفترة إذ الحرارة الممتدة من الظهر إلى العصر هي بمثابة راحة للطلاب وشيخهم على السواء.

---

[1] .محمود كعت :المصدر السابق ، ص 18.
[2] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق، ص 58.
[3] . عز الدين عمر موسى : المرجع سابق ، ص 119
[4] . - سعيد مرسي احمد ، سعيد إسماعيل علي : المرجع السابق ،ص 228.
[5] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص 16.

فكان التعليم في هذه المرحلة حرا يرتبط بظروف العائلة ، واهتمام الأسرة بأبنائها ، ومتابعتهم للحفظ والتحصيل ، إذ يصف ابن بطوطة اهتمام وعناية أهل السودان بتحفيظ أولادهم القرآن إذ يقول ((ودخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ،إلا تسرحهم فقال ((لا افعل حتى يحفظوا القرآن[1] ولم تكن هذه المرحلة محددة بوقت معين ،أو فصل أو سنة دراسية معينة بل كانت تتوقف على استعان الطالب لعدد من الكتب منها كتب الحديث والفقه ، و النحو ،و هذا يتوقف على قدرات ومهارات الطالب على التحصيل والانتهاء منها و لربما يبقى الطالب أكثر من ثلاث سنوات في قراءة موطأ مالك ، وغيره من المذهب المالكي ،والسير وعلم الحديث،ومناقشة المؤلفات والمسائل الكبيرة مع شروحها [2].

2- مرحلة التعليم العالي :

بعدما تلقن الطفل في المرحلة الأولى حفظ القرآن ،وبعض مبادئ النحو ،انتقل في المرحلة الثانية إلى دراسة الفقه والسيرة واللغة العربية وآدابها وبعد أن اكتسب رصيدا فكريا يخوله التوسع في العلم أو التخصص في جزء منه ينتقل الطالب إلى المرحلة العليا التي يلتحق فيها بأحد مشاهير علماء المنطقة أو يشد الرحال إلى حاضرة من حواضر العالم الإسلامي في المغرب والمشرق للاستزادة من علمائه فيدرس الطالب في مرحلة أخيرة القراءات و التفسير و الأحاديث وعلوم أخرى كالفلك و الجغرافيا

[1] . ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 691 .
[2] . عبد الحميد جنيدي : المرجع السابق ، ص 82-83.

والحساب ، و يكون المسجد هو الجامعة التي يتلقن فيها الطلاب و يلتفون حول مدرسهم ، فكان هذا منظرا جميلا لنواة المجتمع العلمي [1].

وقد أصبح المذهب المالكي طابع الدراسات و البرامج الدراسية لان المذهب المالكي هو السائد في المنطقة [2] .

تميز الدراسة في مرحلة التعليم العالي بالتعمق واعتمد منهج واضح يغلب عليه مذهب مالك ،حتى تتكون لدى الطالب ثروة لغوية وفكرية ،وكان التسلسل في المناهج وفي برامجهم صفة علماء إفريقيا عامة وقد حبذ ابن خلدون هذه الطريقة التربوية اذ يقول : أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا فقليلا [3].

أما مدة الدراسة فقد تطول عشر سنوات أو تقصر ،وربما قضى بعض الطلاب نصف عمره في هذه المرحلة وبعد إكماله الدراسة يمنح الطالب إجازة من عدد من الأساتذة الكبار في المنطقة [4] .

وهي بالتأكيد تشبه الإجازات والشهادات الأكاديمية التي تتوج التحصيل العلمي عند الطلبة الباحثين اليوم ،وقد كانت وضعية الطالب على ما يبدو مزرية ،لان التعليم كان حرا ،يعتمد على قدرة الأولياء على دفع أبنائهم للتعليم ،وتوفير لهم أموال أو مؤن تدفع إلى المدرسين وتغطي حاجاتهم أثناء الدراسة ،ومن التقاليد المعروفة أن الطالب يدفع أجرة مدرسه ،ويذكر لنا كعت أنه حظر مكتب المعلم علي تكريا يوم الأربعاء ،وهو اليوم الذي يدفع فيه الصبيان أجرة معلمهم للقرآن من كل أسبوع ،قال : وجعل الصبيان يأتون بخمس ودعات وبعضهم عشر ودعات [5] وقد تكون أجرة المدرس مؤونة مثلما كان الحال في إقليم توات حيث تخصص حصة سنوية من التمر والقمح لمعلم الكتاب نظير قيامه بالتعليم [6] ، ولا شك أن مؤونة سكان السودان الغربي هي مما ينتجه مزارعو المنطقة،

---

[1] . Dubois,(F),Tombouctou la Mystérieuses, paris,1897. p 331

[2] . مطير سعد غيث احمد : المرجع السابق،ص ....

[3].عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ، ص 443 .

[4] . فليكس ديبوا : المرجع السابق ، ص 233.

[5] .محمود كعت : المصدر السابق ، ص180-181

[6] . فرج محمود فرج : اقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007،ص 98 .

أما الأسر الميسورة الحال ،فان الجانب المادي لا يعيق مواصلة أبنائهم الدراسة ،وتشير المعطيات التاريخية أن تكلفة الدراسة تزداد مع المستويات الثلاثة خاصة في مرحلة التعليم العالي ،وهذا بالتأكيد ما يفسر قدرة العلماء على التفرع للتدريس، والتأليف، فكانت بذلك وظيفة العيش .

3- ب- المناهج ومواد الدراسة

-1 - المناهج :

المنهاج في اللغة العربية ِالطريق الواضح ،كذلك المنهج والنهج [1] والمنهاج السائد خلال القرنين 08-10ه/14-16م، هو الذي يركز تركيزا شديدا على إيصال مجموعة محددة من المعلومات والحقائق إلى أذهان المتعلمين وهو منهج التلقين ،حيث يقوم المعلم بتكرار الدرس المقرر على تلاميذه إلى أن يتأكد من إتقانه له أو حفظه .

أو يكتب التلميذ القدر المقرر على اللوح من القرآن نقلا من المصحف ثم يعرضه على مدرسه ويقرؤه له،ويقوم التلميذ بتكراره حتى يتقنه أو يحفظه ،ثم يرجع إلى المعلم ويقرأ عليه الدرس ،حفظا أو نظرا فإن أتقنه يأذن له المعلم بمحو الدرس ،ويكتب مكانه درسا جديدا - آيات جديدة – .

والمناهج والكتب المتداولة في حواضر غرب إفريقيا نفسها التي كانت في المغرب الإسلامي سواء في تنبكت أو غاو أو ولاته أو جنَى أو غيرها.

تأثرت كلها بالطابع والرسم المغربي أي المنهاج والكتب المالكية المغربية [2] منها كتاب عياض سحنون وشروح أبي القاسم وخليل وكتب المغيلي والونشريسي وموطأ مالك والمدونة [3] .

وأما المناهج فكانت تعتمد على منطق أرسطو ،والفلسفة اليونانية ومقامات الحريري[4] ويبدوا أن التأثير المغربي كان واضحا لا كن هذا لا يعني عدم وجود طابع خاص بالسودان الغربي ، بالنظر للعادات والقيم الإنسانية التي كانت سائدة في حواضره وهو ما يعني أن تلك المناهج لم تعصم الناس من الانحراف [5] .

---

[1] . ابن منظور ، لسان العرب ، 4554/6 .طبعة دار المعارف

[2] . حسن احمد محمود :المرجع السابق ، ص 207.

[3] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص29، 33 ،35 ، 46.

[4] . نعيم قداح : المرجع السابق ، ص .161

[5] . عبد القادر زبادية : ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو ، المرجع السابق ، ص 33.

لكن الحكم العام عليها يجعلنا ندرك بذلك مدى الازدهار الذي عرفته هذه الأقاليم خلال الفترة محل الدراسة،وهذا مقارنة بالفترات السابقة واللاحقة إذ أن عدد القراء الكبير وانتشارهم في البادية والحاضرة ومعهم العدد غير اليسير للفقهاء والعلماء [1] يؤكد حالة التعليم .

-2- المقررات(مواد الدراسة) :ازدهرت الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا وشملت جميع مناحي الحياة الدينية والدنيوية كاللغة العربية وآدابها والعلوم الشرعية من فقه وعقيدة وتفسير وحديث وعلوم دنيوية كالطب والحساب وعلم الفلك وعلم الكلام والتاريخ

1-اللغة العربية وآدابها :لقد اهتم سكان غرب إفريقيا باللغة العربية لسان القرآن ،ووسيلة اتصال بالعرب القادمين من الشمال ،وأداة مهمة في التجارة والسفر في موكب الحج.

كانت اللغة العربية تدرس بالحروف الأبجدية والهجائية حيث ترسم الحروف بصور مألوفة وذلك قصد تقريبها إلى الأذهان فمثلا الحاء يشبهونها بالكماش الذي يصنع من الخشب ،والعين يشبهونها بفم الثعلب حتى يفرقون بينها وبين الهمزة ،وهكذا لا يخلو حرف من حروف العربية إلا ويقربونه بشكل مألوف يرسخ في الأذهان [2] ،إلا أن المشكل المطروح هو النطق السليم للحروف وإخراجها مخارجها الصحيحة ،وهي مشكلة شائعة في تعلم اللغات حتى في أيامنا هذه.

وكان اهتمام أهل السودان بالنحو والصرف بالغا فبواسطته يتم التعبير بالغة العربية مشافهة أو كتابة أو حلقات العلم والمساجد ،وقد أشار إلى ذلك الإقبال كل من احمد بابا التنبكتي والسعدي عند تعرضها لعلماء وفقهاء بلاد السودان الغربي [3] .

أما مقررات النحو والصرف فتشمل الحصن الرصين في الصرف و يبتدئون الدراسة النحوية بكتاب الاجرومية للشيخ عبد الله بن محمد الصنهاجي (ت 726ه)ثم منظومة ملحمة الإعراب للحريري ثم قطر الندى لابن هشام (ت761) ثم ألفيه بن مالك (672ه) وبعض الشروح [4] .

---

[1] . عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ، ص .118.
[2] . علي يعقوب : المرجع السابق ، ص06 .
[3] . احمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج 2،المرجع السابق، ص 377.
[4] . علي يعقوب : المرجع السابق، ص07.

وفي الأدب -الشعر والنثر- يدرس طلاب حواضر غرب إفريقيا مقصورة ابن دريد والبردة للبصيري ،وقصائد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقصائد شعراء الجاهلية ،ومع شروحها ، لكن المتتبع لمنتوج الأدب في غرب إفريقيا كان قليلا ولم يبرز مثقفين سودانيين ولم تكن لهم مؤلفات خاصة بهم إلا القليل جدا وربما أهملتهم كتب التراجم سواء السعدي أو احمد بابا التنبكتي [1] أما في النثر الفني فيعد كتاب المقامات للحريري الأكثر رواجا لدى الطلاب والعلماء على حد سواء ،وفي البلاغة والعروض نجد الاهتمام بها قليل ومن كتبها ألفية السيوطي وكتاب الوافي ومقصورة الخزرجى في العروض ،وقد ساعد الطلاب في التمكن من هذه الكتب علماء حذقوا عملهم ،وتمكنوا من فنهم لغة ونحوا وبلاغة ،تلاوة وقراءة وتفسيرا [2] وهؤلاء العلماء والصالحين الذين توافدوا على المنطقة وساهموا كثيرا في نهضة البلاد وبث روح الثقافة بينها واستطاعوا أن يقفوا على الكثير من العادات السيئة ويحاربونها [3] وتعد اللغة العربية وآدابها الأساس في التعليم إذ بها تغذى المراحل العليا التالية في تنبكت أو القاهرة أو فاس إذا أراد الطالب متابعة تحصيله [4] .

العلوم الشرعية :

2-الفقه وأصول العقيدة :

أشرت سابقا إلى أن المذهب المالكي هو المذهب السائد ولذلك لا غرابة في أن نجد كل مقررات الفقه على مذهب الإمام مالك سواء المنشور أو المنظوم ومن أكثر الكتب تداولا في الفقه وأصول العقيدة ،متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت386ه) وكتاب إرشاد السالك إلى اشرف المسالك على مذهب الإمام مالك لمؤلفه عبد الرحمان عسكر البغدادي (ت732ه) [5] ومختصر خليل بن إسحاق (ت776ه) وهو أعظم كتب المذهب وأشهرهم ،اقبل عليه العلماء فشرحوه ،وشرحوا عليه وهو آخر كتاب يدرس في الفقه المالكي

---

[1] . عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي ،المرجع السابق ، ص 60.
[2] . عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ، ص 122 .
[3] . -عبد الحميد بكري : النبذة في تاريخ توات وإعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر ، ط1 ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران ، الجزائر ، 2007، ص 53
[4] . نعيم قداح : المرجع السابق، ص 161.
[5] . علي يعقوب : المرجع السابق ، ص 08.

المنشور وإما الكتب المنظومة فهي كثيرة مثل منظومة القرطبي ، ومنظومة ابن عاشر وهي لعبد الواحد بن عاشر (ت1040ه) وفي الفقه نجد كتاب متن الورقات لإمام الحرمين الجويني (ت487ه) ،وفي العقيدة نجد القرطبي ورسالة ابن زيد القيرواني [1].

3-التفسير والحديث

التفسير :

كان القرآن الكريم و لا يزال المصدر الأساسي والمنهل الذي يأخذ عنه المسلمون العلوم المختلفة وقد اتجه المفسرون اتجاهين يعرف ثانيهما باسم التفسير المأثور وهو ما اثر عن الرسول وصحابته ويعرف ثانيهما باسم التفسير بالرأي وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل [2] وفي الغالب لا يبدأ الطالب في دراسته التفسير إلا بعد دراسة اغلب المتون الفقهية ،واهم الكتب المتداولة تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي (ت671هـ)

الحديث :

من أهم مصادر التشريع الإسلامي ويأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم [3] ويبدأ الطلاب بكتاب الأربعين النووية ثم رياض الصالحين ثم موطأ مالك وغيرها من كتب الحديث كصحيح مسلم و البخاري وفي السيرة اشتهر كتاب سيرة ابن هشام ،وكتاب الصفا للقاضي عياض .

-العلوم الأخرى :

4-الطب والصيدلة :

استخدم الأفارقة العقاقير المستخرجة من النباتات والتي يستخدمها المرضى المعالجون في القرى الإفريقية وقد سخر الأطباء قدراتهم لخدمة البشر[4] ويبدوا أن الأفارقة كانت لهم معرفة سابقة بالكثير من النباتات الطبيعية لارتباطها بالسحر والشعوذة قبل دخول الإسلام .

---

[1] . نفس المرجع ، ص 09.

[2] . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط1 ، دار الجبل بيروت ، 2001 ، ص 346.

[3] . نفسه ، ص 351.

[4] . كلود قوتييه : إفريقيا للإفريقيين ، ترجمة كمال يونس ، ط1، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 53

واستخدم الأفارقة خبرتهم هذه الطويلة في العلاج الطبي، وتوفير الأدوية . ونتيجة لمعرفة الأفارقة بالطب التجريبي، كان لديهم بعض المختصين مثل ما ذكره ابن بطوطة في رحلته وشرح فيها كيف شفي بعد أن قدم له الدواء احد الأطباء المصريين [1] كما يروي السعدي أن احد إخوته شفي من مرض لازم عينه بفضل الطبيب المعروف (إبراهيم السوسي) [2] و عرف الإفريقيون خياطة الجروح و تضميدها، و قطع النزيف بالزيت المغلي، و معالجة السموم بخلاصة بعض النباتات [3] ولا شك أن البيئة الإفريقية بمناخها المطير و الجاف تحتاج إلي مختصين في الأعشاب لمواجهة بعض الأمراض، وان هؤلاء المختصين لم يرقوا إلي مستوى الأطباء إلا أن وظيفتهم تلبي حاجة السكان .

5-التاريخ و الجغرافيا:

كان الاهتمام بالتاريخ مرتبطا بباقي العلوم ، فهو الحلقة التي تجمعهم ، و إن ما تركه السعدي و محمد كعت في كتابيهما " تاريخ السودان" و " تاريخ الفتاش" و هما أهم مؤرخين غرب إفريقيا لأبرز دليل على الاهتمام بالتاريخ، سواء من طرف الطلبة أو الحكام و عامة الناس.

ولقد كانت أخبار الأنبياء و الأمم السابقة ، من اهتمامات الأمراء قبل الطلبة ، بالإضافة الي سيرة الرسول (ص) و مغازي الفتح ، وتسجيل حياة العلماء ، و سيرة الصحابة ، أما الجغرافيا و وصف الطبيعة من انهار و جبال و أودية و صحاري، وكتب الرحالة قد كان لها نصيب من اهتمام طلبة العلم .

6-الحساب و علم الفلك :

كانت هناك عناية بالحساب لما له علاقة مباشرة بالتجارة، و تربية المواشي، و قياس المسافات، و هندسة المباني و القصور، و تروي لنا كتب تاريخ غرب إفريقيا عن المهندس الأندلسي الذي استقدمه ملك مالي منسى موسى بعد عودته من الحج.

و يبدوا أن علم الفلك ازدهر هناك لحاجة الناس إليه في السفر إلي مكة ، و قد ذكر السعدي في الفصل العاشر من تاريخه تراجم سبعة عشر عالما من تنبكت مبينا الميادين

---

[1] . ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 681، 682.
[2] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص3.
[3] . نعيم قداح : المرجع السابق ، ص 163.

العلمية التي اختص بها كل منهم ، وكانوا من النحاة و المناطق و الفقهاء و الأدباء و علماء اللغة والتفسير و الحديث [1].

كما كان الناس بحاجة إلي تحديد الوقت ، و مواقيت الصلاة و اتجاه القبلة ، واختص فيه عدد من العلماء حسب السعدي[2]

7- علم الكلام:

يقصد به الأقوال التي تصاغ على نمط منطقي أو جدلي وعلى الأخص في العقائد وان المشتغلين بهذا العلم يسمون "المتكلمين "وقد أطلق هذا اللفظ أول الأمر على من يشتغلون بالعقائد الدينية [3] ومن خلال هذا التعريف يتضح أن علم الكلام يرتبط بالحجة و الإقناع وتقديم الدليل وهو ما جعل الاهتمام به إلا من طرف فئة العلماء لإقناع طلبتهم ، أو أقناع الوثنين بالدخول في الإسلام ، أو مخاطبة الأمراء كما كان للشيخ المغيلي في مملكة سنغاي ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه العلوم العقلية لم ترق إلى ما وصلت إليه في العواصم الإسلامية الأخرى . فقد كانت هذه العلوم مختصرة على فئة قليلة من الطلبة والعلماء أو من يقودون الرحلات التجارية أو قافلة الحجيج ، وذالك حال الجغرافيا والفلك والحساب .

د- مستوى التعليم :

شاع في حواضر غرب إفريقيا كغيرها من بقاع العالم الإسلامي العلم والتعليم ، حتى أن الدارس والمؤرخ يندهش حينما يعلم أن إفريقيا عاشت بعيدة عن الجهل خلال هذه القرون عكس ما ذهب إليه كثير من المؤرخين غير المنصفين .

إذ أن العلم سنة واضحة لازمت المجتمعات الإسلامية وبذل المسلمون جهدا في بناء مجتمع يسوده التفقه في الدين وعرف السودانيون قيمة العلم بعد دخول الإسلام إلى المنطقة وتخليصهم من العقائد الفاسدة والخرافات البالية ،والصراعات الطائفية المقيتة ،فاستقدم أمراء مالي وسنغاي العلماء والفقهاء وأنزلوهم في قصورهم وأشاروا عليهم في أمور الدين والسلطة وسافروا معهم في رحلات الحجيج وعرفت اللغة العربية طريقها

---

[1] . نفسه ، ص 161

[2] .عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص 60 .

[3] . حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص 357.

إلى تلك المناطق رغم أنهم حديثي العهد بها ،مقارنة بلغاتهم ولهجاتهم المختلفة . والعلم كأحد مقومات الحضارة الإنسانية ،فان السودانيين شاركوا بالقدر الممكن في صناعته وبنائه ،فالعلوم الإفريقية تعتمد على التقاليد الايجابية وعلى أعمال أشهر العلماء وهذه العلوم توجه المجهود المتعلق بالكفاح ضد جميع أنواع التزوير التي تمس التاريخ الإفريقي ،ولذ نجد أن العلوم الإفريقية تكشف عن صراع دائم مع الجهل والتخلف [1].

إن الحركة الفكرية والعلمية في حواضر غرب إفريقيا لم تقتصر أو تتأخر عن مثيلاتها في مراكز العلم مثل فاس أو تلمسان أو القاهرة بما يعطي لهذا الإقليم من العالم الإسلامي الدور الذي لعبه في نشر الثقافة ة الإسلامية ورسوخها إلى اليوم في إفريقيا جنوب الصحراء عامة ومع اعتناء علماء وطلاب السودان الغربي بالقرآن وحفظه وتفسيره وما يتعلق بباقي العلوم الإسلامية ثم العلوم العقلية والمهن الحرة [2].

ازدهرت الحياة العلمية وكثرت الكتاتيب والمساجد وتنوعت العلوم وازداد عدد الفقهاء والقضاة والأدباء في حواضر غاو وجني و تنبكت من أهلها أو من سكنوها [3]

فقد كان مستوى المدارس الإسلامية ،يضاهي مستوى المدارس الإسلامية الأخرى ، و لربما يزيد عنها في بعض النواحي ، فقد روى السعدي أن فقيها اسمه عبد الرحمان التميمي جاء من الحجاز بصحبة السلطان منسى موسى صاحب مالي فأقام في تنبكت زمنا ،ولما رأى رجالها وعلمائها يتفوقون عليه غادرها إلى فاس لتحسين مستواه العلمي[4].

كما رحل عدد من علماء السودان الغربي إلى حواضر العالم الإسلامي ،ومن أشهرهم احمد بابا التنبكتي الذي درس في فاس ودرس في مساجدها ،وكذلك الحال للعلماء الذين هاجروا إلى غرب إفريقيا ،وأشهرهم الشيخ عبد الكريم المغيلي ،وقد اشرنا في الفصل السابق انه كان في الأزهر رواق خاص عرف بالرواق التكروري بالإضافة الى الكتب التي كانت تستقدم مع التجار والحجاج إلى حواضر غرب إفريقيا كلها تدل

---

[1] . - ولتر ماركوف ، هارموت تيمسوفسكي : إفريقيا على ضوء العلوم التاريخية ، مجلة الثقافة الإفريقية ، الجزائر 1969 ص 306.

[2] . حسن الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 164.

[3] . يحيى بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن (16-20م) دار هومة ، الجزائر ، 2001 ، ص 195 .

[4] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص 51 ، 62.

على المستوى اللائق الذي عرفته الحياة العلمية فقد عرف السودانيون الرحلة الى طلب العلم وتنوع مراحل التعليم وأماكنه وبرز العلماء وتنوعت مناهج ومواد التدريس واهم الآباء بتدريس أبنائهم وبلغ التعليم نفس المستوى الذي بلغه في جامعات قرطبة وتونس وتلمسان والقاهرة [1].

لقد احدث الدين الإسلامي نشاطا ثقافيا وحمل اللغة العربية على الانتشار في أوسع نطاق وظلت المدارس القرآنية نبراسا لتقاليد اجتماعية [2] وصنعت حواضر غرب إفريقيا تاريخا مشرفا خلال عدة قرون قبل الاستعمار الأوروبي الذي أعاد حضارة السودان الغربي إلى نقطة البداية وحاول تغيير البنية الحضارية له وتشويه التاريخ .

خاتمة :

عرف التاريخ الثقافي لحواضر غرب افريقيا نشاطا كبيرا للمساجد التي بنيت في مناطق مختلفة ، كان لها دور عظيم في نشر الوعي العلمي والثقافي ، وعلة ترسيخ مقومات الشخصية الاسلامية ، والحفاظ عليها والمسجد مدرسة دينية ، ودار للتهذيب والضيافة ، ومركز يجمع بين العلماء والطلبة وهو مركز إشعاع علمي وحضاري يقوم على تدريس مختلف العلوم الدينية والعقلية ، في مختلف المراحل التعليمية

ولقد استمر بناء المساجد والاهتمام بها مع مختلف السلاطين والحكام ، وفي معظم أقاليم السودان الغربي ، وهي بذلك تمثل جزء مهم من الحياة العلمية والثقافية منذ دخول الاسلام أليها وخاصة في الفترة محل الدراسة .

ولعل الكتب والمكتبات تمثل عاملا ومظهرا أساسيا لتقييم مدى انتشار التعليم ومنتوجه ، فالبرغم من صعوبة توفر الورق أو قلة الناسخين ، فإن عدد المجلدات التي نسخت أو ألفت لتدل على صدى النشاط الذي عرفته كتابة ونسخ المؤلفات حتى عد بعضها بالآلاف كما أشرنا في هذا الفصل وكان الارتحال لطلب العلم سمة العالم الاسلامي ، كله ، ولم يكن السودان الغرب ليشذ عن هذا بالرغم من السفر ، وبعد المسافة التي تصل الى آلاف الأميال

[1] . ولتر ماركوف ، هارموت تيمسوفيسكي : المرجع السابق ، ص 265.
[2] . نعيم قداح : المرجع السابق ، ص 08.

وهو ما يفسر قلة الطلبة الذين توجهوا الى حواضر المغرب والمشرق الإسلاميين ولم يولى طلبة العلم للشهادات المتحصل عليها اهتماما ، فكان الطلبة يتنافسون في حفظ القرآن والحديث ،وكانت الأسر تكرمهم بإقامة الحفلات ، وترعاهم في مرحلة الطفولة

و إذا كان الحكم على ازدهار الحياة العلمية والثقافية في عصر من العصور يقوم على تقدم العلوم فان حواضر غرب إفريقيا قد عرفت عناية العلماء بالعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها ولكن عنايتهم بالعلوم العقلية كالطب والفلك والحساب والهندسة وغيرها كان قليلا ذلك أن ما كان متداولا من هذه العلوم والفنون لم يكن يخرج عن تقليد السابقين ولم يكن ممارسوه بالاستقلال العقلي وروح الابتكار والتجديد الذي يمكن ان نقارنه مع ما كان سائدا في بغداد أو قرطبة أو فاس لكن إذا ما قورن مع ماضي السودان الغربي قبل الإسلام فإننا نقول دون تفكير أن حواضر غرب إفريقيا عرفت ازدهارا علميا كبيرا وخاصة في الفترة بين القرنين (08-10ه/14-16م).

ورغم اتساع التعليم وكثرة المدارس والكتاتيب ،وارتفاع عدد الطلبة وكثرة حفظة القرآن وتمسك السودانيين بتعاليم الدين الإسلامي ،فان هذه الحواضر كانت تفتقر إلى معهد رئيسي كبير يلم شتات المثقفين في القرى والأرياف ،فكان القليل الذي يستطيع السفر إلى فاس أو القيروان وغيرها طلبا للعلم والتبحر فيه .

وعليه ظلت المدارس الموجودة في حواضر الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا تحتفظ بخصائصها المستقلة عن المدارس المجاورة ولا تربطها علاقات تنظيم أو تسيير

وعليه بالقدر الذي كثرت فيه المدارس بالقدر الذي لم تبرز فيه جامعات كبرى ، ولم يكتب لواحدة أن تتفوق على الأخرى ، إذا استثنينا من هذا حاضرة تنبكت التي كانت بحق تشبه إلى حد بعيد الجامعة الكبرى في غرب إفريقيا .

هذا ما جعل الحكم على الحياة العلمية في غرب إفريقيا بمنظور أندلسي أو عربي أوروبي ،وما شهدته هذه المناطق من تطورات يجعلنا لا نزن الأحداث والتطورات بميزان العدل فعلينا قبل الحكم أن ندرس كيف كانت إفريقيا وكيف تطورت وما هي المدة الزمنية المستغرقة لبناء الحياة العلمية وتقاليدها وهل ساعدت الظروف التاريخية والتطورات السياسية مملكة مالي وسنغاي على التطور الحضاري الكافي لنقارنه

بحضارة الأندلس مثلا أم أن الكثير منها –التطورات التاريخية والسياسية – كانت تعيق التواصل الحضاري ،ه وما هي الظروف الطبيعية المحيطة ،وهل كان النظام القبلي دافع للفكر أم تراجع بسبب تمسكه بالقيم التي ظل الإفريقي يقدسها ،حتى روى لنا الرحالة كابن بطوطة ،وحسن الوزان بعضا منها ،غاية في الغرابة وبعدا عن الحياة الإسلامية

إن هذه الأسئلة تحمل الإجابة عليها في نظر الباحث دعوة له إلى المزيد من الدراسة والتعمق ، وما استخلصه أن الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا وما شهدته يعد قفزة ايجابية ،وطورا كبيرا خاصة في الفترة محل الدراسة .

قد يكون دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا أهم حدث عرفته البلاد بحيث أعطى للسكان منهجا جديدا في الحياة يختلف كل الاختلاف عن الحياة الوثنية التي كانو يعيشونها

لكن الباحث في مجال الحياة العلمية سرعان ما يدرك أنها كانت أهم مظهر للتطور الذي أحدثه وصول الإسلام واخرج حواضرها وقراها من الجهل والخرافات والعبودية للطبيعة القائمة على مصادر الخوف والتبعية

إن مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا قد تعددت و تطورت مع القرن السابع حتى غدت مع بداية القرن الرابع عشر ميلادي نموذجا خاصا في هذه الأقاليم .

إذ يرجع الفضل إلى الحركة والنهضة العلمية التي شهدتها تلك الحواضر في إخراج القارة بأكملها من عزلتها الحضارية التي عاشتها طيلة القرون التي سبقه الإسلام حتى عرفت بالظلام .

وقد فتحت هذه الحركة العلمية أبواب الاحتكاك والتفتح على العالم الخارجي خاصة المغرب والمشرق الإسلاميين فتدفقت العلوم على حواضر غرب إفريقيا وتحرك الطلبة والعلماء بحثا عن التفقه في علوم الدين ومعرفة العلوم العقلية التي توصل إليها المسلمون ويمكن أن نلخص أفكار هذا الفصل في النقاط التالية :

أولا :ان انتشار اللغة العربية كان في اغلب الأحيان مساير لانتشار الإسلام ،وباعتبارها لغة الدين الذي اعتنقه غالبية السكان واليها يرجع الفضل في دفع الحركة العلمية إلى المزيد من الانجازات وساهمت بدور فعال في تلاحم الحضارتين العربية والإفريقية

واحتلت العربية مكانة مرموقة بين الأفارقة وتنافسوا لاكتساب مختلف المعارف فكانت هي المحرك الأساسي بعد الدين الإسلامي لتقدم حواضر غرب إفريقيا في مختلف المجالات .

ثانيا : يعتبر التعليم بمختلف مراحله في المساجد أو الكتاتيب في الحواضر أو في الأرياف من أهم عوامل تجذر الحضارة الإسلامية من جهة ومعلما من معالم الحضارة السودانية من جهة ثانية وان كان لا تختلف عن مناطق العالم الإسلامي الأخرى ،فتكونت تقاليد راسخة حول المعلم والطالب ووقت الدراسة والإجازات العلمية وساد التنافس بين العائلات للاهتمام بأبنائهم وخاصة في مجال تحفيظ القرآن .

ثالثا : لقد تنوعت مناهج الدراسة ومقررات العلوم الشرعية والعقلية فقد عرف طلبة الحواضر الإفريقية كل العلوم التي عرفتها المراكز الإسلامية الأخرى ،ونبغ علماء فاقت شهرتهم حدود السودان الغربي إلى فاس وتلمسان والقيروان والقاهرة والحجاز

وأود أن أشير هنا إلى تأخر في مجال العلوم العقلية إذ لم تذكر الكتب الجديد الذي جاء به الأفارقة ، فكان اهتمامهم بمعرفة مبادئ أولية في علم الحساب لاحتياجاتهم له في مجال التجارة وعد النقود وتقسيم المواريث

وعرفوا القليل من علم الفلك لمعرفة الاتجاهات والمسالك والطرق وقليل من الطب والصيدلة لمواجهة الأمراض المعروفة في تلك المناطق، وشيء من علم الكلام وعلوم أخرى لم تلقى الازدهار الذي عرفته اللغة العربية والعلوم الدينية .

رابعا : إن اقل ما يقال عن مستوى التعليم أنه ساهم في محو الأمية التي عرفتها القبائل الإفريقية ببداوتها ووثنيتها وخضوعها للطبيعة والصراعات الطائفية والأباطيل والخرافات، ولم أجد في الكتب التي تناولها في دراستي هذه ما يشير إلى نسبة الأمية ، لكن استطيع التأكيد أنها كانت ضئيلة، بحكم أن السكان كانوا مسلمين ، وان المسلم عليه أن يؤدي الصلاة، ولا يستطيع فعل ذلك إلا إذا حفظ شيئا من القرآن ، ولا يحفظها إلا إذا تعلم على يد مدرس .

إن مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا بكل عناصرها تبعث على الإعجاب لما وصلت إليه من تطور ،ساهم الدين الإسلامي واللغة العربية والطلبة

والعلماء والحكام والعائلات في تنشيطه وجعله عنصر من عناصر حضارة الحواضر في غرب إفريقيا .

قائمة المصادر والمراجع:

1 عزالدين عمر موسى:دراسات اسلامية غرب إفريقية ،ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان،2003.
2 الخطيب البغدادي: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم ، تلخيص وترتيب سامي الصقار ، ط1،دار المريخ ،الرياض 1401-1981.
3 نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1974.
4 عبد الرحمان السعدي : تاريخ السودان –وقف على طبع هوداس-مكتبة أمريكا والمشرق – باريس .
5 عبد الحميد جنيدي : مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10ه/16م ، مذكرة ماجستير،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،2010..
6 حسن أحمد محمود: الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001 .
7 أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي ، القاهرة .
8 تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريـزي : 845هـ/1441م ـالسلوك لمعرفة دول الملوك-ج2 تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ /1997م.
9 محمد محمد زينون : القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية ط 1،دار المنار بالقاهرة 1408-1988.
10 جوز يفين كام : المستكشفون في افريقيا ، ت السيد يوسف نصر ،ط1، دار المعارف ، القاهرة ،1983.
11 احمد طاهر ، فصول من الماضي والحاضر ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة 1975.
12 فليكس ديبوا : تنبكت العجيبة –ترجمة عبد الله عبد الرزاق إبراهيم-مراجعة شوقي عطا الله الجمل-المجلس الأعلى للثقافة –القاهرة-2003.،ص 230.
13 إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها ، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983.
14 الخطيب البغدادي: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم.تلخيص وترتيب سامي الصقار . ط1. دارا لمريخ .الرياض 1401 – 1981 ، ص 65 .
15 أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع،ج2 ،ط1،وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية،المملكة المغربية،1421هـ/2000.
16 فؤاد سيزكين: محاضرات في تاريخ العلوم ،ط1، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 1989/1399.
17 عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الاسيقين 1493-1591 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر -1971 .، ص147.

..

18 عبلة محمد سلطان: العناصر المغاربية في السودان الغربي-دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاة دولة سنغاي-رسالة دكتوراه-مركز البحوث والدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة -1999..
19 يوسف الخليفة أبو بكر: الحرف العربي و اللغات الإفريقية ، مجلة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس 1985. ص 171.
20 ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (المعروف بـ: تحفة النظار في غرائب الأمطار) دار بيروت للطباعة والنشر –بيروت -1400هـ/1980م ، ص 681 .
21 عبد السلام عبد العزيز فهمي : نصاب الصبيان ومسيرة ستة قرون في تعليم اللغة العربية للمسلمين غير الناطقين بها ط1 جامعة ام القرى ،المملكة العربية السعودية 1405
22 محمد فاضل علي باري سعيد ابراهيم كردية : المسلمون في غرب افريقيا تاريخ حضارة ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 2007.
23 جمال زكريا قاسم : العلاقات العربية الإفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية ، للاستعمار ، مجلة الدراسات الإفريقية ،القاهرة ، العدد 547 ، 1977 ،06.
24 حسن عيسى عبد الطاهر : الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني. ط1، القاهرة 1991.
25 عبد العلي الود غيري : اللغة العربية : الماضي والحاضر والمستقبل ، 12.11.2010.www.biblioislam.net.
26 حسن احمد منصور : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ط1،دار الفكر العربي ،القاهرة ، 2001 .
27 زينب احمد هاشم : زينب احمد هاشم : علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية القاهرة ، 1982، ص 144.
28 الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغاي ،رسالة ماجستير ، ط1 ، دار المجمع العلمي ، جدة ، 1979 ،ص 43-44 .
29 محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي-معهد البحوث والدراسات الإفريقية،القاهرة .
30 الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر -1983، ص 296 .
31 سعيد مرسي احمد سعيد إسماعيل علي : تاريخ التربية والتعليم ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 .
32 علي يعقوب : اللغة العربية وآدابها في دولة سنغاي الإسلامية مجلة علوم إنسانية ، السنة السابقة ، العدد 45 www.ulum.nl. 2010’.
33 منير الدين احمد : تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم ترجمة وتلخيص وتعليق ، سامي الصقار ، ط1 ، دار المريخ ، الرياض المملكة العربية السعودية 1981م-1401هـ ،
34 عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ص 62 ، 63 .
35 عبد القادر زبادية : ملامح الحركة التعليمية في تنبكت، خلال القرن السادس عشر ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 7- 8 ، 1977 .ص32.
36 علي يعقوب : المناهج والمقررات التعليمية في الجمهورية النيجيرية ، مجلة علوم إنسانية ، السنة السابعة ، العدد 45 ، 2010 WWW.ULUM.N .org

37 فرج محمود فرج :إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 .
[1] . Dubois,(F),Tombouctou la Mystérieuses, paris,1897.
[6] . فرج محمود فرج : اقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007.
38 عبد الحميد بكري : النبذة في تاريخ توات وإعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر ، ط1 ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران ، الجزائر ، 2007.
39 حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط1 ، دار الجبل بيروت ، 2001.
40 كلود قوتييه : إفريقيا للإفريقيين ، ترجمة كمال يونس ، ط1، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .
41 ولتر ماركوف ، هارموت تيمسوفسكي : إفريقيا على ضوء العلوم التاريخية ، مجلة الثقافة الإفريقية ، الجزائر 1969 .
42 يحيى بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن (16-20م) دار هومة ، الجزائر ، 2001 ، ص 195 .
43 بن فضل الله العمري :مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ط1 مركز زايد للتراث والتاريخ 2001.
44 أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث-دار المريخ ، الرياض ، 1970م.
45 ابن خلدون: المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان ، 1413هـ/1992م.
46 . Barth H : voyage et decouverte dans l'afrique septentrional et central pendants les années 1845-1855-Edition 1863-Paris.
47 [5] . Yattara El mouloud : L'islam et les voies de sa diffusion au Mali du VIIIème au XVIème siècle. P02.www. histoire-afrique.org
48 Jackson, Mississippi. Sankore University: Rediscover the Glory، www.muslimmuseum.org/SankoreUniversity
49 Constant Hamès**:** « Les manuscrits arabo-africains : des particularités ? », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, p99-100 | novembre 2002, URL : http://remmm.revues.org/index1182.html .31 mai 2010.
50 Lisa Lindsay: The Influence of Islam on West Africa. www.spice.stanford.edu.com *.22/10/2010*
51 jon.hunwik.the influence of arabic in west africa .ahistoricol survez. Trans tion. of the historical.society of chan .v.v//.p 24-41.WWW. *books.google.com/books.*